بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 7 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:26\10\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

المحطة الثالثة في الآية الأولى: ﴿حينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ لا شك أن كلمة (من) في هذه الآية المباركة للتبعيض، والتبعيض يستبطن وجود قطعة في شيء أوسع منها. ومع قطع النظر عن كلمات أئمة اللغة، هذا التعبير لذاته يدل على أن الامتداد الزماني للدهر أطول من الامتداد الزماني للحين، وهذا ما يساعد عليه كلمات أئمة اللغة.

الحين: هي القطعة من الزمان، قصرت أم طالت. الدهر: فهو الزمان الممتد الذي لا تحديد لمبدئه ومنتهاه.

الذين اختاروا أن المقصود من الإنسان في هذه الآية هو آدم عليه السلام التزموا بتحديد الحين، ولكنهم اختلفوا في ذلك على أقوال متعددة، فالبعض -ولعله هو المشهور عند العامة- أن الحين عبارة عن أربعين سنة، في هذه الأربعين سنة كان آدم عليه السلام مجسماً في طين.

مقاتل في تفسيره ذهب إلى أن الحين عبارة عن واحد وعشرين ألف سنة، وعبر بهذا التعبير: وهي ثلاثة أسباع، أي المراحل التي مرت على آدم سبعة ألاف، سبعة ألاف، سبعة ألاف، المجموع يصبح واحد وعشرين ألف سنة.

جماعة ذكروا إلى أنه عبارة عن مئة وعشرين سنة، نُقل ذلك على ابن عباس؛ بقي طيناً أربعين سنة، وأربعين سنة من صلصال، وأربعين سنة من حمأ مسنون، فتم خلقه بمئة وعشرين سنة.

البعض قال: الله سبحانه وتعالى عندما خلق السماوات والأرض في ستة أيام من ضمنها آدم، فالمقصود من الحين ستة أيام.

وهكذا أقوال أخرى في هذا المجال لا يوجد ما يدل عليها من عقل أو نقل.

وهنا ينبغي أن نقف عند نكتة تصلح في مباحث التفسير كقاعدة عامة تتكرر في كثير من الموارد: إذا رجعنا وحددنا الهدف الذي سيقت لأجله هذه الآية، وسيق لأجله مطلع هذه السورة.

كان الغرض هو بيان أن الباري تبارك وتعالى أنعم على الإنسان بنعمتين: نعمة الخلق بعد لم يكن شيئاً مذكوراً، ونعمة الهداية. إذا كان هذا هو الغرض الذي سيق له الكلام فهذا الغرض لا يتوقف حصوله على تحديد الحين بمدة زمنية، يكفي –حتى لو بنينا على أن المقصود من الإنسان خصوص هذا آدم– تحقق الغرض الموسوق إليه الكلام أن يكون آدم أو الإنسان في لحظة من اللحظات لم يكن، فيصدق عليه أن الله سبحانه وتعالى خلقه وأعطاه الأدوات، جعله سميعاً بصيراً، وأنعم عليه بنعمة الهداية.

فإذاً اتضح لدينا أن الغرض الموسوق له الكلام لا يتوقف على تحديد المدة وكم هو الحين. وما ذكروه في الواقع هو بيان لأمر خارج عن الآية، والآية لم تسق لإفادته، كقوله تبارك وتعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾[1] فالآية ليست بصدد بيان القدم كم مدته الزمنية، لا يتعلق غرض بذلك، لكن في الخارج حتى يعود القمر يحتاج إلى مدة زمنية، فلا نستطيع أن نقول القديم في اللغة العربية معناها تلك المدة الزمنية.

كذلك في مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[2] لم يتعلق غرض في تحديد أن هذه النعمة الإلهية لا تكون نعمة إلا إذا كانت ستة أشهر أو سنة، لكن في الخارج الشجرة حتى تثمر تحتاج إلى مدة زمنية معلومة. فلا نستطيع أن نقول إن حين في اللغة العربية يراد منها تلك المدة الزمنية المعلومة.

وهذا الاشتباه الذي يخلطون فيه كثيراً في التفاسير، حتى لو وردت روايات تحدد الآية يكون لبيان الواقع، وقد ذكرت في بعض البحوث التفسيرية سابقاً، بأن غالب[3] الروايات ليست لبيان مفهوم، أي عندما تأتيك رواية تقول لك في قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[4] فتفسر الغيب بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف، فهذا لا يعني أن الرواية بصدد تفسير كلمة الغيب، وإنما بصدد بيان المصداق، وبهذا

---

[1] يس 39
[2] إبراهيم 25
[3] السيد الإمام & في البيع لم يقل غالب الروايات، بل كل الروايات ليست روايات للتفسير.
[4] البقرة 3

يرتفع ما ربما يأتي إلى الذهن ابتداء من وجود تهافت وتعارض بين الروايات، توجد روايات تحدد الغيب، وروايات تحدد الغيب يؤمنون بالنبيﷺ، وروايات تحدد الغيب بأنه الإمام الحجة عجل الله فرجه الشريف، الجنة والنار وهكذا. هذه الروايات لو كانت روايات تفسيرية يقع بينها التعارض، وإنما هذه الروايات لبيان المصداق، المصداق الذي يهم السائل معرفته أو الذي الإمام عليه السلام أنه من المناسب أن يثيره الآن، فحينئذ لا يكون هناك تعارض بين الروايات.

فهؤلاء في الواقع اختلافهم نشأ في مدة بقاء آدم عليه السلام قبل نفخ الروح فيه، نزاعهم في هذا، وليس نزاعاً نحمله للآية المباركة، فكلمة حين في اللغة العربية معناها واضح، لا يقع فيها اختلاف، فإذاً هذا ليس بحثاً تفسيرياً، ولا يوجد في الروايات ما يقتضي حمل الحين على تلك الأقوال التي ذكروها.

فإذاً هذا الشق من الآية المباركة في غاية الوضوح ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾ أي مدة زمنية من هذا الزمن الممتد كان الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً.

المحطة الرابعة: قوله تبارك وتعالى: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ هذا التعبير في اللغة العربية يمكن أن يصدق في موردين:

المورد الأول: فيما لو لم يكن أصلاً، يصح أن نقول لم يكن شيئاً مذكوراً، لم يكن شيئاً فضلاً عن كونه مذكوراً، هذا ما يعبر عنه بالسالبة بانتفاء الموضوع.

المورد الثاني: يصدق فيما لو كان شيئاً لكنه لم يكن مذكوراً، فهذه السالبة بانتفاء المحمول، وليست من السالبة بانتفاء الموضوع.

ذكرت فيما مضى من بحوث تفسيرية أن السالبة بانتفاء الموضوع ليست عرفية، العرف لا يعبرون بهذا التعبير، أبو عيسى لم يأكل ولم يشرب، وإنما هذا تعبير منطقي، تدقيق عقلي، وإن كان صادقاً لكنه غير متعارف عند العرف.

فبناء على ذلك نلتزم بأن ظاهر هذه الجملة ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ أنه كان ولم يكن مذكوراً.

ومعنى أنه كان ولم يكن مذكوراً إما أنه كان بمادته ولكن لم يذكر باسمه، كان طيناً، وهذا الطين لا يسمى إنسان، فهذا الإنسان كان شيئاً ولكن لم يكن بهذا العنوان وبهذا الاسم، هذا احتمال.

الاحتمال الآخر: المقصود كان بمادته، وذلك قبل نفخ الروح فيه، فكان بمادته الإنسانية، وهي هذه الصورة التي تكونت في عالم المُثل، كان ولكن لم يكن شيئاً مذكوراً، لم يكن يذكر كإنسان.

هذه الجملة ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ يوجد في إعرابها احتمالان:

الاحتمال الأول: أن تكون في محل نصب على الحالية من الإنسان، فيكون المعنى هل أتى على الإنسان حين من الدهر غير مذكور، أي الإنسان غير مذكور، فتكون حال من الإنسان.

الاحتمال الثاني: أن تكون في محل رفع، على أساس أنها نعت لحين، فيكون المعنى هل أتى على الإنسان حين متصف بكونه غير مذكور، أي الحين غير مذكور.

الصحيح هو المعنى الأول، وهذا ما تساعد عليه الأخبار الواردة عن أهل البيت عليهم السلام كما في كتاب محاسن البرقي بسند معتبر عن حمران، عَنْهُ عَنْ أَبِيه عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُكَيْرٍ عَنْ زُرَارَةَ عَنْ حُمْرَانَ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ ع عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ- ﴿هَلْ أَتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ فَقَالَ كَانَ شَيْئاً [هذا يؤكد على أن ليست بانتفاء الموضوع] وَلَمْ يَكُنْ مَذْكُوراً قُلْتُ فَقَوْلُهُ [كأن السائل يريد يعترض على الإمام] ﴿أَوَلا يَذْكُرُ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً﴾ قَالَ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً فِي كِتَابٍ وَلَا عِلْمٍ.[5]

لم يكن شيئاً أحد يلتفت إليه، وأحد يذكره، لا في كتابه ولا في معرفته. وهذه الرواية من ناحية السند معتبرة ومن ناحية الدلالة معتبرة، وتؤكد ما استظهرناه في الفهم العرفي من هذا المقطع.

كذلك رواية مشابهة في الكافي في تفسير القمي، وفي أمالي الشيخ الطوسي رحمه الله في حديث طويل جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: قل ما أول نعمة أبلاك الله بها وأنعم عليك بها؟ [وهذا يؤكد أن الغرض الموسوق له الكلام الامتنان على الإنسان] قال: إذ خلقني جل ثناؤه ولم أكن شيئاً مذكوراً، قال صدقت.

---

[5] المحاسن، ج1، ص: 243